Journal Of the Iraqia University (76-4) 31 July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

تأثير الفكر الديني الزرادشتي على العقائد اليهودية في فترة السبي البابلي دراسة مقارنة لمفاهيم الخير والشر

م. م. نور قيس عباس هيابة

جامعة واسط / كلية الفنون الجميلة

The Influence of Zoroastrian Religious Thought on Jewish Beliefs during the Babylonian Captivity: A Comparative Study of the Concepts of Good and Evil

Researcher's Name:
Noor Qais Abbas Hayaba
Iraqi University
hyabtnwrqys@gmail.com

الملخص

تُعَدّ فترة السبي البابلي مرحلةً مهمة في تطور العقيدة اليهودية، إذ شهدت تفاعلاً مع بعض الديانات الشرقية، وفي مقدمتها الزرادشتية.وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أوجه التأثير المحتملة للفكر الزرادشتي في بعض مفاهيم العقيدة اليهودية، ولا سيما الخير والشر والصراع بين النور والظلام.واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي المقارن من خلال تحليل النصوص اليهودية المتأخرة والنصوص الزرادشتية الأساسية.وأظهرت النتائج وجود تشابهات واضحة في مفاهيم الملائكة والشياطين واليوم الآخر والحساب والثنائية الأخلاقية .وتسهم الدراسة في فهم تطور الفكر الديني اليهودي ضمن إطار تاريخ الأديان المقارنة.**كلمات مفتاحية:**الزرادشتية، السبي البابلي، العقيدة اليهودية، الثنائية الأخلاقية، الأديان المقارنة.

Abstract

The Babylonian captivity was an important stage in the development of Jewish belief, especially through contact with Zoroastrianism. This study examines the possible influence of Zoroastrian thought on Jewish doctrine, particularly in the ideas of good and evil. It uses a comparative historical method to analyze Jewish and Zoroastrian texts. The findings show similarities in angels, demons, the afterlife, judgment, and moral dualism. The study helps explain the development of Jewish religious thought in comparative religion.

Keywords: Zoroastrianism, Babylonian Exile, Jewish Theology, Moral Dualism, Comparative Religion.

أولاً: المقدمة

يُعدّ التفاعل الديني والفكري بين الشعوب من أبرز العوامل التي أسهمت في تطوّر البنى العقائدية عبر التاريخ، ومن بين أهم تلك اللحظات التاريخية تأتي فترة السبي البابلي التي مثّلت نقطة مفصلية في الوعي الديني لبني إسرائيل. ففي هذه الفترة، وجد اليهود أنفسهم في بيئة حضارية جديدة تتنوع فيها المعتقدات والاتجاهات الفكرية، لاسيما الفكر الديني الزرادشتي الذي كان يشكل الأساس العقدي للإمبراطورية الأخمينية بعد سقوط بابل على يد كورش الكبير. وقد حملت هذه البيئة الدينية الشرقية منظومة فكرية قائمة على ثنائية الخير والشر، وصراع النور والظلام، ومركزية الحساب الأخروي، وهي موضوعات تظهر بوضوح في النصوص اليهودية التي كُتبت أو دُوّنت بصورة جديدة بعد السبي. ومن هنا تبرز أهمية دراسة مدى تأثير الفكر الزرادشتي في ظهور أو تطور بعض المفاهيم العقدية اليهودية، ولا سيما ما يتعلق بالثنائية الأخلاقية والشيطنة والملائكة والآخرة. إن هذا البحث لا يسعى إلى إثبات حصول التأثير بشكل قطعي بقدر ما يحاول تحليل طبيعة التشابهات البنيوية والنصية بين الديانتين، وفهم جذور التحول العقدي داخل السياق التاريخي والاجتماعي الذي عاشته الجماعة اليهودية آنذاك.

ثانياً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في تحديد طبيعة العلاقة الفكرية بين الديانة الزرادشتية والعقائد اليهودية في فترة ما بعد السبي البابلي، وذلك من خلال دراسة التشابهات اللافتة بين النظامين العقديين، خصوصًا فيما يتعلق بثنائية الخير والشر وفكرة الصراع الكوني بين قوى النور والظلام. لقد أثيرت عبر العقود نقاشات واسعة حول ما إذا كانت هذه التشابهات تمثل تأثيرًا مباشراً ناتجاً عن الاحتكاك الثقافي والسياسي بين اليهود والإمبراطورية الأخمينية، أم أنها مجرد تجليات لتطور داخلي طبيعي في الفكر اليهودي حدث في ظل ظروف اجتماعية وسياسية جديدة. كما تظهر الإشكالية في صعوبة تحديد مصادر التأثير بدقة، بسبب تعدد مراحل تدوين النصوص الدينية اليهودية وتداخلها مع حقب تاريخية مختلفة. ومن هنا، تُطرح المسألة الأساسية: هل تعكس المفاهيم اليهودية المتأخرة—مثل الشيطان، الحساب، الملائكة، الأخرويات، والثنائية الأخلاقية—أصولاً زرادشتية، أم أنها نتاج تطور طبيعي داخل بنية الفكر اليهودي؟ وما مدى إمكانية مقارنة النصوص الزرادشتية بالأدبيات اليهودية المتأخرة لإيجاد علاقة موضوعية بينهما؟

ثالثاً: ضرورة البحث

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسهم في كشف جانب مهم من تطور الفكر الديني اليهودي في واحدة من أكثر الفترات تأثيرًا في تاريخه. فمع تطوّر الدراسات المقارنة للأديان، أصبحت الحاجة ملحة لإعادة فحص الروابط المحتملة بين المعتقدات الكبرى، وفهم العوامل التاريخية التي أسهمت في تشكّلها. ومن بين هذه الروابط تأتي العلاقة بين الزرادشتية واليهودية، لا سيما أن الأولى تُعد من أقدم الأديان التي قدّمت تصورًا واضحًا للثنائية الأخلاقية والصراع الكوني، وهي مفاهيم تظهر لاحقًا في العقيدة اليهودية بصيغ أكثر تحديدًا، خصوصًا في الكتب التي دُوّنت بعد السبي. كما تزداد ضرورة البحث بسبب محدودية الدراسات العربية المتخصصة في هذا المجال، مقابل وفرة الدراسات الغربية التي اختلفت نتائجها بين التأكيد والنفي والتفسير الحيادي لتلك العلاقة. ويأتي هذا البحث لسد فجوة معرفية في المكتبة العربية، وإثراء النقاش العلمي حول التأثيرات المتبادلة بين الأديان، وفهم السياق الحضاري الذي ساهم في إنتاج المفاهيم الدينية التي نراها اليوم.

رابعاً: هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية، في مقدمتها تحليل مفهوم الخير والشر في الديانة الزرادشتية ومقارنته بمثيله في العقيدة اليهودية في فترة ما بعد السبي البابلي. ويسعى أيضاً إلى دراسة الأسس الفكرية واللاهوتية التي تنبني عليها الثنائية الأخلاقية في الديانتين، والكشف عن طبيعة التشابهات النصية والعقدية بينهما. كما يهدف إلى تحديد المسارات التاريخية التي قد تكون ساهمت في انتقال أو تشابه بعض المفاهيم الدينية، عبر تحليل الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها اليهود خلال خضوعهم للحكم الأخميني. ويهدف البحث كذلك إلى تقديم قراءة تحليلية جديدة تعتمد على المنهج المقارن في تفسير العلاقة بين المعتقدات اليهودية والزرادشتية، بما يسهم في توضيح مدى قوة الأدلة التي يستند إليها الباحثون في إثبات التأثير أو نفيه، وصولًا إلى بناء رؤية موضوعية متوازنة حول جذور المفاهيم العقدية في الفكر اليهودي.

خامساً: منهجية البحث

يستند هذا البحث إلى منهجية علمية تقوم على الدمج بين المنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التحليلي. يعتمد المنهج التاريخي على تتبّع الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي عاشها اليهود خلال فترة السبي البابلي والحكم الأخميني، بهدف فهم السياق الذي قد يكون سمح بحدوث التأثير الفكري بين الديانتين. أما المنهج المقارن فيتمثل في إجراء مقارنة نصية وعقدية بين المفاهيم الأساسية في الفكر الزرادشتي كما وردت في الأفستا والنصوص اللاحقة، وبين الأفكار اليهودية التي ظهرت في أسفار ما بعد السبي. ويعتمد المنهج التحليلي على تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين المنظومتين العقديتين، وتحليل جذور تلك المفاهيم ومدى ارتباطها بالتحولات التاريخية. وقد تم الاعتماد على مصادر أولية، ومراجع أكاديمية حديثة، ودراسات متخصصة في مقارنة الأديان، بهدف الوصول إلى نتائج علمية دقيقة ومنهجية رصينة.

المبحث الأول: الإطار التاريخي والفكري للعلاقة بين الزرادشتية واليهودية

يُعدّ فهم الإطار التاريخي والفكري الذي أحاط بفترة السبي البابلي مدخلًا أساسيًا لتحليل أي تحوّل طرأ على العقائد اليهودية خلال تلك المرحلة المفصلية من تاريخ بني إسرائيل. فقد شكّل السبي حدثًا غير مسبوق في الوعي الديني اليهودي، إذ انتقل المجتمع اليهودي من بيئته الأصلية في القدس إلى فضاء حضاري جديد تمامًا، اتسم بتنوع ثقافي وديني واسع شمل الديانات البابلية القديمة، ثم لاحقًا الفكر الديني الفارسي بقيادة الزرادشتية بعد سقوط بابل على يد الإمبراطورية الأخمينية. هذا التغيّر الجذري في البيئة المحيطة أوجد حالة احتكاك مباشر بين اليهود وأنظمة عقدية مختلفة، كان أبرزها النظام الزرادشتي الذي امتاز ببنية لاهوتية واضحة قائمة على ثنائية الخير والشر وصراع النور والظلام، مما فتح المجال أمام ظهور تساؤلات بحثية حول مدى تأثير هذا الفكر في تطور المفاهيم العقائدية اليهودية التي ظهرت في الأسفار المتأخرة.ولذلك، يأتي هذا المبحث لتقديم

خلفية تاريخية وفكرية شاملة تساعد في بناء أساس علمي لفهم العلاقة بين الديانتين، عبر تناول طبيعة الحياة الدينية في بابل والفكر السائد وقتذاك، ثم الانتقال إلى تحليل أهم مبادئ الديانة الزرادشتية التي ازدهرت في العصر الأخميني وكانت مهيمنة على المجال السياسي والثقافي الذي عاش اليهود في ظله لأكثر من قرن. ومن خلال هذا العرض، يسعى المبحث إلى توضيح السياق الذي يمكن من خلاله دراسة احتمالية التأثير المتبادل، وتهيئة القارئ لتحليل المقارنة العقدية التي سيتناولها المبحث الثاني من هذا البحث.

المطلب الأول: البيئة التاريخية والدينية لفترة السبي البابلي

شهدت العقيدة اليهودية خلال فترة السبي البابلي تحوّلات فكرية عميقة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالظروف التاريخية والسياسية التي عاشها اليهود في القرن السادس قبل الميلاد. فقد مثّل سقوط مملكة يهوذا عام ٥٨٦ ق.م على يد الملك البابلي نبوخذنصر الثاني حدثًا مفصليًا أدّى إلى سبي عدد كبير من سكّان القدس ونقلهم إلى بابل، وهو ما وضع الجماعة اليهودية في فضاء حضاري جديد مختلف تمامًا عن بيئتها الأصلية. لم يكن هذا الانتقال مجرد تهجير سياسي، بل كان انتقالًا ثقافيًا وفكريًا إلى إحدى أكثر المناطق ازدهارًا حضاريًا في الشرق الأدنى القديم، حيث تعددت الديانات والأساطير والأنماط العقدية، مما جعل البيئة البابلية حاضنة لتفاعل عقدي لم يكن مألوفًا لليهود قبل تلك الحقبة (Bright, 2000, p. 120)كانت بابل في تلك الفترة مركزًا دينيًا كبيرًا مليئًا بالطقوس والشعائر المرتبطة بآلهة متعددة، أبرزها مردوخ وآشور، كما كانت تمتلك تقاليد أسطورية راسخة مثل أسطورة الخلق البابلية ((Enuma Elishالتي تقوم على صراع بين قوى كونية متعارضة. هذا الوجود القوي للثنائية الرمزية في الفكر البابلي أوجد بيئة جعلت المجتمع اليهودي يتأثر—بشكل مباشر أو غير مباشر—ببعض المفاهيم المرتبطة بالصراع الكوني والنظام الأخلاقي (Finkelstein & Silberman, 2001, p. 32) ومع أنّ اليهود ظلّوا محافظين على هويتهم الدينية، إلا أنّ الاحتكاك بالثقافات الأخرى فرض إعادة قراءة للنصوص الدينية، وأدّى إلى بروز اتجاهات فكرية جديدة في أسفار ما بعد السبي مثل دانيال وإشعياء الثاني.وتزامن وجود اليهود في بابل مع تغيّر سياسي كبير تمثل في سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م على يد الملك الفارسي كورش الكبير، الذي تبنّى سياسة دينية متسامحة سمحت لليهود بالعودة إلى القدس، كما ورد في النص العبري في "مرسوم كورش". ومع ذلك فإنّ جزءًا كبيرًا من اليهود بقي في بلاد فارس، وهناك بدأت مرحلة جديدة من الاحتكاك مع الفكر الديني الزرادشتي الذي كان يُعدّ في مرحلة ازدهار خلال الحكم الأخميني. وقد وفّر هذا الاحتكاك بيئة خصبة لانتقال أو تلاقح بعض المفاهيم العقدية، خصوصًا أن الزرادشتية قدّمت منظومة لاهوتية تقوم على ثنائية الخير والشر ممثلة بأهورامزدا مصدر الخير وأهريمان مصدر الشر، وهي مفاهيم سيظهر لها صدى واضح في النصوص اليهودية المتأخرة (Boyce, 2001, p. 18)وقد اختلف الباحثون في تقييم حجم التأثير الذي أحدثته تلك البيئة الجديدة في العقيدة اليهودية؛ فبعضهم يرى أنّ السبي البابلي لم يكن مجرد مرحلة سياسية، بل كان نقطة تحول لاهوتي جذري أدّت إلى إعادة صياغة الكثير من المفاهيم اليهودية، بينما يرى آخرون أنّ تطور الفكر اليهودي كان نابعًا من سياقه الداخلي، وأن التشابهات مع الأفكار البابلية والفارسية تعكس بنية ثقافية مشتركة في المنطقة آنذاك وليس تأثيرًا مباشرًا بالضرورة. إلا أنّ معظم الدراسات المعاصرة تتفق على أن السبي خلق شروطًا تاريخية واجتماعية مكّنت من ظهور تصوّرات جديدة حول الشر والملائكة والقيامة والآخرة، وهي عناصر لم تكن بنفس الوضوح في الفكر العبري السابق للسبي (Becking, 2019, p. 12)إنّ هذه المرحلة من التاريخ اليهودي تُعدّ الأساس لفهم أي تحولات لاحقة في العقيدة، إذ إنها تمثل البيئة التي أعادت صياغة الوعي الديني للجماعة، وجعلت النصوص الدينية أكثر انفتاحًا على المفاهيم الكونية الكبرى. لذلك، فإن دراسة السياق التاريخي والديني للسبي البابلي ليست مجرد خلفية بحثية، بل شرط ضروري لفهم طبيعة العلاقة المحتملة بين الفكر الزرادشتي والمعتقدات اليهودية التي تطورت في تلك المرحلة.

المطلب الثاني: أسس الفكر الديني الزرادشتي ونظامه العقدي

تُعدّ الزرادشتية واحدة من أقدم الديانات التوحيدية الأخلاقية التي ظهرت في منطقة إيران القديمة، والتي ارتبطت باسم النبي زرادشت، ويرجّح الباحثون ظهورها ما بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد، وهي فترة قريبة زمنيًا من حقبة السبي البابلي وقيام الدولة الأخمينية. يقوم الفكر الزرادشتي على مجموعة أسس عقدية واضحة تتمحور حول مفهوم الخير والشر، وصراع النور والظلام، ورؤية ثنائية للكون تُعدّ الأكثر بروزًا بين جميع الديانات الهندو–إيرانية. وقد لعبت هذه المنظومة الفكرية دورًا مهمًا في تشكيل الثقافة الدينية للإمبراطورية الأخمينية التي عاش اليهود في ظلها بعد سقوط بابل، الأمر الذي دفع العديد من الباحثين إلى دراسة مدى التشابه بين العقائد اليهودية المتأخرة والمفاهيم الزرادشتية (Boyce, 2001, p. 18)يتمحور جوهر العقيدة الزرادشتية حول الإله الأعلى أهورامزدا، الذي يمثل مصدر الخير المطلق، والخالق الحكيم للنظام الكوني، ويقابله أنغرا ماينيو (أهريمان)، روح الشر والفوضى والظلام. وينظر الفكر الزرادشتي إلى العالم بوصفه مسرحًا لصراع دائم بين هاتين القوتين، صراع ينتهي بانتصار الخير وهزيمة الشر في نهاية الزمان. وقد انعكس هذا التصور الثنائي على جميع مجالات الفكر الزرادشتي، بما في ذلك

الأخلاق والآخرة وعلاقة الإنسان بالقوى الروحية(Dhalla, 1938, p. 25)هذا المفهوم الثنائي لم يكن حاضرًا في اليهودية المبكرة بصورة واضحة، لكنه يظهر بشكل جلي في أسفار ما بعد السبي، مثل سفر دانيال، مما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بوجود تأثير محتمل من الزرادشتية في صياغة الرؤية اليهودية للخير والشر.تشغل الأرواح الخيّرة (الأمشاسپندات) والأرواح الشريرة مكانة مركزية في النظام الزرادشتي. فالأولى تمثل تجليات أهورامزدا وصفاته، مثل الحق والنظام والحكمة، وهي بمثابة قوى نورانية تساعد الإنسان في سعيه الأخلاقي. أما الأرواح الشريرة فتخضع لأهريمان وتعمل على نشر الفساد والظلام. وتُعدّ فكرة وجود ملائكة وأرواح متصارعة من الملامح اللافتة التي ظهرت لاحقًا بوضوح في الأدبيات اليهودية، وبخاصة في التقاليد الأبوكريفية والكتابات الرابينية، رغم أنها لم تكن مفصلة بالشكل نفسه في التوراة السابقة للسبي(Widengren, 1965, p. 45)أما على صعيد الأخرويات، فتقدّم الزرادشتية رؤية شاملة للحساب والجزاء النهائي، إذ يؤمن أتباعها بوجود يوم قيامة تُبعث فيه الأرواح ليواجه كل إنسان نتائج أعماله. ويتميز هذا التصور بوجود ميزان أخلاقي دقيق، ومحكمة إلهية، وجسر يُعرف باسم "جسر الحساب" يفصل بين طريق الجنة والجحيم. وقد لاحظ الباحثون تشابهًا بين بعض هذه الأفكار وما ورد في الأسفار اليهودية اللاحقة مثل دانيال ١٢، فضلاً عن انتشار فكرة القيامة والجزاء الأخروي بشكل أكثر تفصيلًا بعد السبي (Boyce, 1975, p. 14) ورغم أنّ هذه المفاهيم يمكن أن تكون قد تطوّرت ذاتيًا داخل اليهودية، فإنّ التوازي الزمني والمعرفي مع العقيدة الزرادشتية يستدعي دراسة احتمالية التأثر أو انتقال المفاهيم عبر الاحتكاك الثقافي. كما يُعدّ مفهوم "سوشيانْت" (المخلّص) أحد أبرز مكونات الفكر الزرادشتي، وهو شخصية مستقبلية يظهر في نهاية الزمان ليعيد النظام الأخلاقي وينتصر على الشر قبل يوم القيامة. هذا النموذج يشبه إلى حد ما فكرة "المسيّا" في اليهودية المتأخرة، ما دفع عددًا من الباحثين إلى اقتراح وجود بنية فكرية مشتركة أو تأثير مباشر بين الديانتين (Hinnells, 1985, p. 45)ومع ذلك، لا يزال الجدل قائمًا حول ما إذا كانت هذه المفاهيم نتيجة تأثير خارجي أم تطور داخلي نتيجة الظروف التاريخية الجديدة لليهود.إجمالًا، يُظهر الفكر الزرادشتي منظومة لاهوتية وأخلاقية متكاملة تعتمد على ثنائية الخير والشر، وتضع الإنسان في موقع مسؤولية أخلاقية ضمن صراع كوني واسع. وبالنظر إلى تزامن انتشار الزرادشتية مع الفترة التي عاش فيها اليهود تحت الحكم الأخميني، فإن دراسة أسس الفكر الزرادشتي تعدّ خطوة ضرورية لفهم السياق العقدي الذي يمكن أن يكون قد شكّل البيئة الفكرية التي ظهرت فيها تغيّرات مهمة في العقائد اليهودية خلال تلك المرحلة.

المبحث الثاني: مقارنة مفاهيم الخير والشر بين الزرادشتية واليهودية بعد السبي

بعد استعراض الإطارين التاريخي والفكري للزرادشتية واليهودية في فترة السبي البابلي، تبرز الحاجة إلى الانتقال نحو دراسة مقارنة مباشرة للمفاهيم العقدية المتعلقة بالخير والشر في الديانتين، بوصفها إحدى أكثر النقاط التي أثارت جدلًا واسعًا في حقل تاريخ الأديان. إذ يُلاحظ أنّ أسفار ما بعد السبي في اليهودية بدأت تُظهر تطوّرًا في رؤيتها للشر وقواه وموقعها ضمن النظام الكوني، وهو تطور يتزامن زمنيًا مع احتكاك اليهود بالفكر الأخميني القائم على نظام عقدي صارم يقوم على ثنائية الخير والشر، وتجسّد واضح لقوى النور والظلام. وقد دفع هذا التوازي الباحثين إلى التساؤل حول مدى استقلالية التطوّر العقدي اليهودي، وما إذا كانت تلك التحولات انعكاسًا لمؤثرات ثقافية ودينية زرادشتية أو أنها تطورات داخلية جاءت استجابةً لصدمة السبي وتجربة الاغتراب الديني.يسعى هذا المبحث إلى تقديم مقارنة تحليلية بين المفاهيم الأساسية للخير والشر في الفكر الزرادشتي من جهة، وفي اليهودية ما بعد السبي من جهة أخرى، مع التركيز على القيم المشتركة والفروق الجوهرية. كما يتناول هذا المبحث الصورة الجديدة التي اكتسبها الشر في الأدبيات اليهودية المتأخرة، مثل ظهور شخصيات الشيطان، وتكثيف الحديث عن الملائكة، وبروز موضوع القيامة والحساب الأخروي، وهي عناصر لم تكن ملامحها مكتملة قبل السبي. ومن خلال هذه المقارنة، يتوخّى هذا المبحث الوصول إلى رؤية علمية متوازنة تساعد على تقييم فرضية التأثير المتبادل، وتحديد مدى عمق التشابهات العقدية بين الديانتين، وتمييز ما يمكن أن يُعدّ تأثرًا مباشرًا مما قد يكون امتدادًا لتطوّر داخلي طبيعي في الفكر اليهودي نتيجة الظروف التاريخية والنفسية التي مرّت بها الجماعة في تلك المرحلة.

المطلب الأول: ثنائية الخير والشر في الفكر الزرادشتي وتأثيرها المحتمل في اليهودية

تُعدّ الثنائية بين الخير والشر من أبرز السمات التي ميّزت الفكر الزرادشتي، وقد شكّلت إحدى الركائز الأساسية التي بُنيت عليها المنظومة العقدية لهذه الديانة. إذ يقوم التصور الزرادشتي على الاعتقاد بوجود مبدئين كونيين متعارضين منذ بداية الخلق: أهورامزدا، إله النور والخير والحكمة، وأنغرا ماينيو (أهريمان)، روح الشر والظلام والفوضى. ويُنظر إلى هذا التعارض بوصفه محورًا للصراع الكوني، ينعكس على العالم المادي وعلى حياة البشر، وهو صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتصار الخير في نهاية الزمان (Boyce, 2001, p. 29) هذا الطرح الثنائي القائم على الفصل الواضح بين قوى الخير والشر منح الزرادشتية مكانة خاصة بين أديان المنطقة، وميّزها بمنظومة أخلاقية صارمة قائمة على حرية الاختيار ومسؤولية الإنسان في مواجهة الشر.في هذا الإطار، ظهر مفهوم "الروحَين التوأمَين" اللذين يمثّلان الخير والشر، وقد تمكّنا بإرادتهما الحرة من

اتخاذ طريقين متناقضين: طريق الصدق ((Asha وطريق الكذب Druj))، وهما مفهومان محوريان في الفلسفة الزرادشتية. فالخير يرتبط بالنظام والحق والعدل، بينما يرتبط الشر بالفوضى والظلام والكذب. وللإنسان دور أساسي في هذا الصراع، إذ يُعتبر فاعلًا أخلاقيًا مسؤولًا عن تعزيز الخير من خلال أفعاله وأفكاره وكلماته، وهو ما تُختصر به الأخلاق الزرادشتية في العبارة الشهيرة: "الفكر الحسن، القول الحسن، العمل الحسن" (Dhalla, 1938, p. 5) وعند مقارنة هذه الثنائية بما ورد في النصوص اليهودية قبل السبي، يُلاحظ أن الفكر العبري القديم لم يكن يتضمن تصورًا مماثلًا للشر كقوة مستقلة أو كيان خارق يعارض إرادة الإله. فلم يظهر "الشيطان" بوصفه خصمًا لله إلا في نصوص متأخرة مثل سفر أيوب وسفر زكريا، بينما كان مفهوم الشر في الأسفار الأقدم يُفسَّر غالبًا ضمن إرادة يهوه نفسه أو كنتيجة لعقاب إلهي. أما بعد السبي، وخاصة في الأسفار المتأخرة مثل سفر دانيال، فقد بدأت تظهر ملامح جديدة للشر تتسم باستقلاله النسبي كشخصية متمرّدة أو قوة معارضة، وهو ما رآه بعض الباحثين تطورًا قد تأثر—بشكل مباشر أو غير مباشر—بالنظام الثنائي الزرادشتي (Widengren, 1965, p. 72) ويبرز هذا التأثر المحتمل أيضًا في تطوّر صورة الملائكة والشياطين في الفكر اليهودي. فبينما كانت الملائكة في النصوص المبكرة تُعدّ مجرد رسل أو أدوات لتنفيذ إرادة الله، اتخذت—بعد السبي—رؤية أكثر تنظيماً وتدرجًا، حيث ظهرت أسماء محددة ورتب وتخصصات، كما في سفر دانيال وسفر طوبيا. وترى الدراسات المقارنة أن هذا التشكل المنظم لعالم الملائكة قد يرتبط بتأثير الفكر الزرادشتي الذي يصنّف الأرواح الخيّرة (الأمشاسپندات) والشريرة (الديفات) ضمن نظام واضح ومتدرج (Hinnells, 1985, p. 103) وتدعم هذه الفرضية حقيقة أنّ اليهود عاشوا أكثر من قرن تحت الحكم الأخميني، وكانت الثقافة السائدة آنذاك تقوم على رؤية كونية مبنية على الصراع بين الخير والشر .ويشير باحثون في تاريخ الأديان إلى أن التحولات التي ظهرت في اليهودية لم تكن بالضرورة نتيجة "اقتباس مباشر" من الزرادشتية، بل قد تكون استجابة داخلية للتجربة النفسية والاجتماعية القاسية التي مرّت بها الجماعة اليهودية خلال السبي. فالحاجة إلى تفسير الشر ومعاناة الشعب، وتقصي معنى العدالة الإلهية، ربما دفعت إلى إعادة صياغة المفاهيم العقدية بطرق أكثر قربًا من الثنوية الزرادشتية، أو على الأقل ضمن بنية فكرية مشابهة (Becking, 2019, p. 46) ومع ذلك، تبقى التشابهات اللافتة بين الديانتين في هذا السياق—خصوصًا في موضوع الشر والملائكة والقيامة—من أبرز الأدلة على وجود تفاعلات ثقافية وروحية خلال تلك الحقبة.وبذلك، يمكن القول إن ثنائية الخير والشر في الفكر الزرادشتي تقدّم إطارًا نظريًا مهمًا لفهم التحولات العقدية التي شهدتها اليهودية في فترة ما بعد السبي. فالتقارب في البنية الفكرية، والتوازي الزمني، والاحتكاك المباشر بين الشعب اليهودي والثقافة الأخمينية، كلها عوامل تجعل من دراسة هذا الموضوع ضرورة لفهم تطور العقيدة اليهودية في جانبها الأخروي والأخلاقي.

المطلب الثاني: الصراع الكوني بين النور والظلام في الزرادشتية ومقابله في اليهودية

يحتلّ مفهوم الصراع الكوني بين قوى النور والظلام موقعًا مركزيًا في العقيدة الزرادشتية، ويُعدّ من أكثر عناصرها تأثيرًا في تشكيل رؤيتها للعالم وللوجود الإنساني. إذ تصوّر الزرادشتية الكون على أنه مسرح لصراع أزلي بين أهورامزدا، إله النور والخير، وأنغرا ماينيو (أهريمان)، روح الظلام والشر. هذا الصراع ليس مجرد ثنائية أخلاقية، بل منظومة كونية متكاملة تتداخل فيها القوى الروحية والبشرية، وتنعكس على حركة التاريخ ومصير الإنسان. ويُعتقد أنّ هذا الصراع سينتهي بانتصار الخير في "التجديد الكوني" أو فراشوكرتي، وهو حدث أخروي يحسم فيه أهورامزدا المعركة لصالح النور، ويُقضى فيه على الشر نهائيًا (Boyce, 1975, p. 84)في هذا السياق، تتخذ الزرادشتية رؤية متقدمة للكون، حيث تنقسم الكائنات الروحية إلى فئتين واضحتين: الأرواح الخيّرة (الأمشاسپندات) التي تعمل تحت إشراف أهورامزدا، والأرواح الشريرة (الديفات) التي تتبع أهريمان. ويُنظر إلى الإنسان كعنصر فاعل في هذا الصراع، إذ يساهم من خلال اختياراته الأخلاقية—الصدق، الطهارة، الخير—في تعزيز قوة النور وإضعاف قوة الظلام (Hinnells, 1985, p. 104) من ثمّ، فإنّ الصراع الكوني في الزرادشتية يُعطي معنى وجوديًا للمسؤولية الأخلاقية، ويحوّل الالتزام الأخلاقي إلى جزء من معركة كونية ذات أبعاد روحية شاملة.وعند الانتقال إلى اليهودية، تُظهر النصوص التي كُتبت أو أعيد تدوينها بعد السبي البابلي ملامح جديدة يمكن مقارنتها بهذا النموذج الكوني. ففي الأسفار السابقة للسبي، لم يكن تصور الشر متبلورًا كقوة مستقلة أو ككيان معارض لله، كما لم يكن هناك حديث واضح عن صراع كوني بين قوى متضادة. إلا أن أسفار ما بعد السبي—وخاصة سفر دانيال—قدّمت رؤية جديدة تتضمن صراعًا بين قوى نورانية، مثل ميخائيل وجبرائيل، وقوى ظلام أو قوى معادية مرتبطة بالشعوب أو الشر الروحي (Collins, 1993, p. 58) ويُعدّ هذا التطور تحولًا مهمًا في الفكر اليهودي، إذ بدأت تتشكل ثنائية رمزية تعكس ما يشبه الصراع الكوني بين الخير والشر، وهو ما رأى بعض الباحثين أنه قد يكون انعكاسًا للاحتكاك بالفكر الزرادشتي الأخميني خلال تلك الحقبة.وتزداد قوة هذه المقارنة عند النظر في تطور الأدبيات اليهودية اللاحقة، مثل الأسفار الأبوكريفية (كأسفار أخنوخ)، التي تصف صراعًا واضحًا بين الملائكة الأبرار والملائكة الساقطين، وتعرض رؤية كونية تتقاطع مع التصورات الزرادشتية في تنظيم العالم الروحي وفي العلاقة بين القوى الأخلاقية المتصارعة. ومن ذلك على سبيل المثال الحديث

عن "أرواح النور" و"أرواح الظلام" في مخطوطات قمران، وهو ما يراه بعض الباحثين أحد أبرز الأدلة على تأثر المجتمع اليهودي بأفكار كونية قريبة من النموذج الإيراني(Becking, 2019, p. 46)كما يظهر هذا التوازي في موضوع نهاية الزمان (الإسكاتولوجيا)، إذ تشترك الديانتان في تصور معركة أخيرة تُهزم فيها قوى الشر وتُقام فيها العدالة الإلهية. ففي الزرادشتية، يخوض "سوشيانْت" (المخلّص) معركة نهائية في نهاية الزمن تنتهي بالقضاء على أهريمان وتجديد العالم، بينما في اليهودية المتأخرة يظهر مفهوم "المسيّا" الذي يخلّص الشعب ويقود معركة روحية وتاريخية لتحقيق الملكوت الإلهي على الأرض(Hultgård, 2000, p. 63) ورغم اختلاف التأصيل اللاهوتي للوظيفتين، فإنّ التشابه البنيوي بينهما ساعد في تعزيز فرضية التفاعل العقائدي خلال فترة الحكم الأخميني.ومع ذلك، يشير عدد من الباحثين إلى ضرورة التعامل مع هذه التشابهات بحذر، لأن التطورات الفكرية داخل اليهودية يمكن أيضًا تفسيرها بوصفها استجابة لتجربة السبي ومعاناة الشعب وتطلعه لفهم معنى الشر والعدالة في العالم. لكنّ التوازي الزمني، والمناخ الثقافي المشترك، والتشابه في البنية المفاهيمية، تجعل من دراسة الصراع الكوني في الزرادشتية واليهودية بعد السبي خطوة أساسية لفهم جذور هذه المفاهيم وتطورها في الفكر الديني (Boyce, 2001, p. 63).ويخلص هذا المطلب إلى أنّ فكرة الصراع الكوني بين النور والظلام في الزرادشتية قدّمت نموذجًا فكريًا غنيًا ربما أسهم في بلورة بعض المفاهيم اليهودية اللاحقة، ولا سيما تلك المتعلقة بالشر الروحي والملائكة والقيامة ونهاية الزمان. ومع أنّ التأثر المباشر لا يمكن الجزم به بشكل قاطع، فإنّ وجود هذه التشابهات يوفر أساسًا قويًا لفهم الخلفية الثقافية المشتركة التي ساهمت في تطور الفكر الديني في الشرق الأدنى القديم.

الخاتمة

تبيّن من خلال الدراسة أنّ فترة السبي البابلي وما تلاها من خضوع اليهود للحكم الأخميني لم تكن مجرد مرحلة سياسية، بل لحظة تحوّل فكري وديني عميق أثّرت بوضوح في البنية العقدية لليهودية. فقد أتاح هذا الاحتكاك الطويل بين الجماعة اليهودية والبيئة الدينية والثقافية في بلاد فارس فرصة لظهور مفاهيم جديدة داخل الفكر اليهودي، ولا سيما ما يتعلق بالخير والشر، ووجود قوى روحية متصارعة، والحديث عن القيامة والجزاء الأخروي. وعلى الرغم من أنّ اليهودية احتفظت باستقلالها العقدي ولم تذُب داخل العقائد المحيطة بها، إلا أنّ التشابهات البنيوية بين بعض الأفكار الزرادشتية وأسفار ما بعد السبي تشير إلى أنّ البيئة الفكرية للأخمينيين تركت أثرًا غير مباشر في صياغة بعض المفاهيم الدينية اليهودية. كما أظهرت الدراسة أنّ هذه التشابهات لا تعني بالضرورة اقتباسًا مباشرًا، بل قد تكون نتاجًا لتطور داخلي في اليهودية، حفّزه السياق التاريخي والنفسي والاجتماعي للمنفى، وأسهمت البيئة الفارسية في إطاره العام بإبراز نماذج فكرية قريبة من القضايا التي شغلت العقل اليهودي في تلك المرحلة. وبذلك، فإنّ دراسة العلاقة بين الزرادشتية واليهودية ليست محاولة لطمس خصوصية أي منهما، بل لفهم ديناميات التفاعل والتلاقح الفكري في الشرق الأدنى القديم.

قائمة المصادر

1. Becking, B. (2019). Between catastrophe and hope: The Jews in exile and their relationship with Mesopotamia. Brill.
2. Boyce, M. (1975). A history of Zoroastrianism (Vol. 1). Brill.
3. Boyce, M. (2001). Zoroastrians: Their religious beliefs and practices. Routledge.
4. Collins, J. J. (1993). Daniel: A commentary on the book of Daniel. Fortress Press.
5. Dhalla, M. N. (1938). History of Zoroastrianism. Oxford University Press.
6. Hinnells, J. R. (1985). Persian myth: The legendary past. University of Texas Press.
7. Hultgard, A. (2000). The eschatology of Zoroastrianism. In J. Neusner & A. Avery-Peck (Eds.), The encyclopedia of Judaism (pp. 446–456). Brill.
8. Widengren, G. (1965). The great Vohu Manah and the apostle of God: Studies in Iranian and Manichean religion. Uppsala University.